المحاضرة الأولى:
نظرية الأدب: الماهية والمفهوم

مقدمة:

تتناول هذه المادة أصول الأدب ومفاهيمه ومعاييره عبر العصور والحضارات. فضلاً عن إبراز التمايز بين النظريات العامة للأدب والدراسات النقدية في حقول الأدب، وحرصنا على أن تحقق هذه المطبوعة الأهداف التي وضعت من أجلها، من خلال تقديم المعلومة الصحيحة المناسبة، المستندة إلى الدليل الذي يصاحبه بيان للحكمة والتعليل؛ تعليماً للطالب وتمكيناً له؛ حتى يحسن التعامل مع نظرية الأدب.

وقد اقتضى هذا التوجه أن نعرض في هذه المحاضرات لمفهوم نظرية الأدب، ووظيفة الأدب، ونظرية المحاكاة والانعكاس والتعبير والخلق، إلى جانب الأجناس الأدبية، كما عرضنا لأهم النظريات الأدبية.

1- نظرية الأدب: الماهية المفهوم.

التعامل مع النتاج الأدبي تقتضي البحث في التصورات الذهنية والرؤى الفكرية التي سبقت انتاجه والتي تندرج ضمن حقول المعرفة الإنسانية المتنوعة، وما ينضوي تحتها من نظريات فلسفية ونقدية، ساهمت في تشكل الأدب ووضع قواعده اللغوية والفنية والجمالية، وأصّلت أنساقه ومبانيه اللغوية وحدّدت مضامينه وموضوعاته المختلفة.

وهذا البحث المتعدّد حول النتاج الأدبي ساهم في بروز نظريات معرفية تحاول أن تأسس لمفهوم الأدب وظيفته وطبيعته، وتنهض بأطره ومصطلحاته، فتمخض عن ذلك ما يسمى بنظرية الأدب .

أ- مفهوم النظرية :

إن الباحث يقف عند كم هائل من التعريفات والمفاهيم المتعلقة بالنظرية، وهذا التعدد مرده إلى تعدد مجالات اشتغال النظرية، وتعدد المرجعيات التي تصدر عنها هذه المفاهيم، وكذا تعدد أزمنتها ودواعيها، ومن تعريفات النظرية ما يأتي:

1/ النظرية تصور عام لقضية أو موضوع في علم من العلوم، يقوم على أسس ثابتة من حقائق جزئية أو كلية، ويعمل على جمع نتائج الأبحاث والتجارب، وعلى ترتيب تلك النتائج، حتى تتوضّح القضية التي يراد ممارساتها في الواقع البشري ويبين مداها وخصائصها.

2/ وهي مجموعة مترابطة من المفاهيم والتعريفات والقضايا، التي تكوّن رؤية منظمة للظواهر الطبيعية أو الفكرية عن طريق تحديدها للعلاقات بين المتغيرات، بهدف تفسير تلك الظواهر.

4/ كما يتم تعريف النظريّة بأنها مجموعة من الفرضيات، التجارب والحقائق التي يتم استخدامها لتحقيق الإدراك الذهني عبر تفسير الظواهر المختلفة، كما تستخدم لفهم العلاقات بين مسببات الأمور وتأثيراتها على المحيط .

ب- مفهوم الأدب:

الأدب فن من الفنون الجميلة كالرسم والنحت والموسيقى ونحوها، وأداة لغوية للتعبير الجميل عن الشعور الصادق وعما يجول في القلوب والنفوس، ووسيلة هامة لإثارة الانفعالات وتصوير المجتمع الإنساني تصويرا دقيقا بأسلوب جذاب . أو هو اختصارا الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به التأثير في عواطف القراء والسامعين، سواء كان شعراً أم نثراً.

وإذا ألقينا نظرة عابرة على كتب التاريخ الأدبي، فنجد معاني الأدب تختلف عبر العصور والدهور. فإذا رجعنا إلى العصر الجاهلي، فنجد كلمة "آدب" بمعنى الداعى إلى الطعام، فقد جاء على لسان الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا يحتقر

ومن ذلك المأدبة بمعنى الطعام الذي يدعى إليه الناس. واشتقوا من هذا المعنى أدُب يأدُب بمعنى صنع مأدبة أو دعا إليها. كما أن هذه الكلمة استعلمت في معنى تهذيبي خلقي،

وفي العصر الإسلامي نجد هذه الكلمة تدور حول المعنى الخلقي التهذيبي والتعليمي كما جاء في الحديث الشريف " أدبني ربي فأحسن تأديبي".، ثم أصبحت تشير إلى طائفة كبيرة من المعلمين تسمى بالمؤدبين الذين كانوا يعلمون أولاد الخلفاء الطرائف والنصوص القرآنية والشعر والخطب وأخبار العرب وأنسابهم وأيامهم في الجاهلية والإسلام.

وإذا انتقلنا إلى العصر العباسي، نجد الكلمة قد ارتبطت بفعل الكتابة ، فقد سمي ابن المقفع رسالتين له تتضمنان ضروبا من الحكم والنصائح الخلقية والسياسية باسم " الأدب الصغير" و" الأدب الكبير"، وأن أبا تمام سمى الباب الثالث من ديوان الحماسة الذي جمع فيه مختارات من طرائف الشعر، باسم "باب الأدب".

أما في العصر الحديث فقد أصبحت تدل على معنى يقابل معنى كلمة "Littérature" الفرنسية التي تدل على كل ما يكتب في اللغة مهما يكن موضوعه ومهما يكن أسلوبه، سواء كان علما أم فلسفة أم أدبا خالصا، فكل ما ينتجه العقل والشعور يسمى أدبا.

والادب: هو الوسيلة التعبيرية التي ترسم بالكلمات احاسيس الانسان واشواقه عبر الأزمنة والامكنة، انه يعبر عن كل حالاته وتقلباته النفسية وصراعاته الاجتماعية بكل ابعادها.

ج- في مفهوم نظرية الأدب:

النظرية الأدبية هي نظرية مرادفة للفكر، وبذلك تكون نظرية الأدب هي نفسها الفكر الأدبي السابق لعملية الإنتاج الأدبي أو مجموعة من الأفكار المتماسكة المنتجة للأدب ، وبالتالي فهي تسمح للباحثين

بالوصول عبر التفكير المنهجي إلى الجذور الفلسفية والفكرية التي سبقت عملة الإنتاج الأدبي، ما يسمح بتحديدها في نظريات عامة لها قواعدها واسسها النظرية والتطبيقية التي تحدّد مراحل تطور هذا الفن منذ القدم.

نظرية الأدب تعنى دراسة منهجية عميقة لطبيعة الأدب وطرق انتاجه، مستغلة مجموعة من التصورات التي تحاول تفسير الوقائع التخيلية من أجل استنباط وتأصيل مفاهيم عامة، تبين حقيقة الأدب وآثاره.

ونظرية الأدب: هي مجموعة من الأفكار والآراء المتَسقة والعميقة والمترابطة، والمستندة إلى نظرية في المعرفة أو فلسفة محدَدة، والتي تهتمَ بالبحث في نشأة الأدب وطبيعته ووظيفته، حيث تدرس الظَاهرة الأدبية بعامَة من حيث نشأتها وطبيعتها ووظيفتها في سبيل استنباط وتأصيل مفاهيم عامَة تبيَن حقيقة الأدب وآثاره.

وتتّصل هذه النظريّة في أصل نشأتها لدى الغربيين بنظرية الفنون وفلسفتها وعلم الجمال، وكانت تطمح في حقيقة أمرها إلى أن تجعل النقد علمًا من العلوم الإنسانية، كعلم اللغة وعلم الاجتماع وعلم الإنسان وعلم النفس، ولعلّها تذكّرنا بالجدل الدائر بين الثقافتين العلميّة والأدبيّة من منتصف القرن العشرين إلى الآن.